



السبت 3 يوليو 2010 04:03 م
كتب: بقلم: وائل حجازي

أعمار الرجال لا تُقاس بالسنين والأعمار بل بالنتائج والآثار، وكما لا تُقاس الأعمال بكمها وحجمها، كذلك لا تُقاس أعمار الناس بطولها، فقد يعمر الإنسان عمراً طويلاً، ولكن دون أن يترك أي أثر يُذكر، وقد لا يطول عمره، ولكنه حافل بالإنجاز والعطاء، وفي هذا يقول ابن عطاء الله في "حكمه": "رب عمر اتسعت أماده، وقلت أمداده، ورب عمر قليلة أماده، كثيرة أمداده! من بُورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى، ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة".

من الناس من يحيا بعد موته، ويخلف من صالح الأعمال ما يضيف إلى عمره أعمارًا تطول وتطول، ويجعله باقياً في دنيا الناس.

وأحسب أن من هؤلاء- ولا أُركي على الله أحداً- الدكتور حسين الدرج رحمه الله، فهو باقٍ بين الناس بالذكر الحسن؛ وبالعلم النافع، وبال مواقف المحموده.

وأحسبه كذلك من ذلك الطراز الفريد من الرجال الذين قلَّت أعمارهم وبقيت آثارهم، من أمثال الإمام النووي والشهيد حسن البنا، والشهيد عبد الفتاح إسماعيل، والشهيد محمد فرغلي، وغيرهم الكثير والكثير، نحسبهم كذلك ولا نُركي على الله أحداً.

فمن هو هذا الرجل الذي عمره قليلة أماده كثيرة أمداده!.

المولد والنشأة

وُلد الدكتور حسين علي علي حسين الدرج- رحمه الله- في 14/1/1954م بقرية ميت معلا التابعة لمركز بلييس بمحافظة الشرقية في بيتٍ محبٍ للدين؛ فوالده كان محباً للتصوف كعالم المصريين في ذلك الوقت، وهو الابن الأكبر بعد ثمانية عشر عامًا فضاها الأب بلا إنجاب، ثم رزقه الله بعد ذلك بأربعين من البنات وولدين.

تعليمه ومؤهلاته العلمية

برز الدكتور حسين بين أقرانه في مراحل التعليم المختلفة رغم ضيق ذات اليد، وكان- رحمه الله- يعمل في الإجازات الصيفية للإنفاق على نفسه، فكان من ذلك سفره إلى ليبيا وعمله كنجار مسلح وحداد، وغير ذلك من المهن المختلفة إلى أن حصل على بكالوريوس طب الأزهر سنة 1979م، ثم حصوله على ماجستير جراحة القلب والأوعية سنة 1986م، ثم حصوله على ليسانس أصول الدين 1986م، وكان- رحمه الله- عضوًا بمجلس نقابة الأطباء، وعضوًا بالجمعية المصرية لجراحة القلب والأوعية.

زواجه

ترقّ الدكتور حسين- رحمه الله- في نفس العام الذي تخرّج فيه من رفيقة دربه وجهاده الحاجة أم عائشة- نثتها الله على الحق- وورزقهما الله بخمسة أولاد: عائشة، أنس، معاذ، محمد، حمزة.. بارك الله فيهم جميعًا، ونسأل الله سبحانه أن يكونوا خير خلف لخير سلف.

جهوده الدعوية

تعرّف الدكتور حسين على دعوة الإخوان المسلمين منذ أن كان طالبًا في المرحلة الجامعية، ومنذ ذلك الحين وهو يعمل ليل نهار لدين الله عز وجل لا يكل ولا يمل ولا يتكاسل، ويصول ويجول في كل ميدان، وهو صاحب إصرار ودأب وصلابة في قول الحق وإخلاص في أداء العمل، ومن مواقفه التي تدل على إيجابيته أنه كان رئيسًا لاتحاد طلاب المدينة الجامعية بجامعة الأزهر، وكان الطعام الذي يُقدّم للطلاب في المدينة الجامعية رديئًا فنصح زملاءه بأن من يجد شيئًا يأتي به إليه، وفعلاً جاء إليه البعض بخبز فيه مسامير والبعض بخبز فيه حشرات، فما كان منه- رحمه الله- إلا أن وضع هذا الخبز في كيس ثم ذهب لمقابلة وزير التموين، وبالفعل قابله وأراه رداءة الطعام الذي يورد للطلاب من قبل موردي الطعام ووعده الوزير خيرًا".

والدكتور حسين- رحمه الله- من مؤسسي العمل الإسلامي في مدينة شبيرا الخيمة، وأحد قيادات محافظة شمال القاهرة، وأحد رموز الإخوان، وقد فتح الله وأجرى على يديه الخير الكثير، وتربّى على يديه الكثير من الإخوان المسلمين، وكان دائم الحركة بين إخوانه وجيرانه، في أفراحهم وأتراحهم، وكان رحمه الله محبوبًا وقريبًا من الجميع حتى مع من يختلفون معه في الرأي والفكر.

ولقد كان- رحمه الله- نموذج الرجولة الحقّة والعطاء لدعوة الله.

وكان- رحمه الله- خطيبًا مغوّهًا يشهد بذلك كل من تربّى على خطبه بمسجد الفتح بشبيرا الخيمة، وهو أحد أهم مؤسسي هذا المسجد الذي أصبح شعاع نور وخير لكل أهالي شبيرا الخيمة.

وسافر- رحمه الله- إلى بعض البلدان الأوروبية داعيًا ومرتبًا ومعلمًا كالسويد وبريطانيا.

انتخابات مجلس الشعب

لم تشهد دائرة في مصر حثًا لأحد المرشحين كحب جماهير دائرة شبيرا الخيمة بكل طوائفها للدكتور حسين- رحمه الله- عندما رأَت جماهير شبيرا الخيمة أن خير من يمثلها وينطق باسمها هو الدكتور حسين- رحمه الله- فكان من ترشحه لانتخابات مجلس الشعب عن دائرة قسم أول شبيرا الخيمة إلا أن يد الظلم والطغيان وقفت حائلًا بين الناس وبين أمنيتهم في أن يروا الدكتور حسين- رحمه الله- ممثلًا لهم، وحرمته من محبيه وإخوانه وعُيّبوا خلف الأسوار، وكانت الجماهير تطيب نفس الدكتور حسين- رحمه الله- قائلة: "لا تحزن إذا كانوا قد أخذوا إخوانك ومحبيك فسوف تُربك ما نصنع، وكان- رحمه الله- يعلق ويمزح بعد ذلك بقوله: وقد كان "حيث خرجت الجماهير عن بكرة أبيها معلنة تأييدها الكامل للدكتور حسين حتى إن أحد الضباط رأى صاحب سينما بعزبة عثمان فقال له: جاي تنتخب الدكتور حسين لو نجح سوف يغلق لك السينما، فقال الرجل: "مش مشكلة يبقى يشوف لي أي عمل آخر"، إلا أن الظالمين رأوا غير ذلك بعد أن تأكدوا أن كل هؤلاء ما خرجوا إلا من أجل الدكتور حسين- رحمه الله- فزوروا النتائج، ومنعوا الناس من الوصول إلى لجان الاقتراع، وحوصرت شبيرا الخيمة، وكان لهم ما أرادوا، وتحوّلت شبيرا الخيمة إلى ثكنة عسكرية، وذكرني هذا المشهد وقتها بما يدور من اشتباكات بين قوات الاحتلال وبين الفلسطينيين!! وكنت أحد القلائل الناجين من الاعتقال بعد عدة مدهامات لبيتي؛ حيث كنتُ أبيت بالخارج، وقد بلغ الاعتقال في ذلك الوقت مداه؛ حيث طال كل من يمت للدكتور حسين- رحمه الله- بأية صلة؛ سواء كان من داخل الصف الإخواني أو من خارجه، وليس الخبر كالعيان، وليس من رأى كمن سمع وقرأ.

واعبرت جماهير شبيرا الخيمة الدكتور حسين هو النائب الشرعي لدائرة شبيرا الخيمة، ولم يغب الدكتور حسين- رحمه الله- عن ذاكرة جماهير شبيرا الخيمة حتى بعد وفاته، وظهر ذلك جليًا في انتخابات مجلس الشعب الماضية عندما رشّح الإخوان الدكتور محمد البلتاجي خلفًا للدكتور حسين- رحمه الله- فاستقبله أهالي الدائرة بترحاب شديد، وكان الجميع يؤكد بأنه سوف ينتخب الدكتور محمد البلتاجي؛ لأنه من (ريحة) الدكتور حسين، وتتعالى أصوات الجماهير: (يا بلتاجي يا حبيب.. شمس الدرج مش هانغيب).

محاكمته عسكريًا

حكّم على الدكتور حسين الدرج- رحمه الله- عسكريًا في إحدى القضايا العسكرية التي تُوجّه إلى جماعة الإخوان المسلمين بثلاث

سنوات سجناً، وهي القضية (رقم 2001/29 جنایات عسكرية)؛ حيث تم القبض عليه في 6 نوفمبر 2001م، وحُكِمَ عليه بالسجن ثلاث سنوات في 30/7/2002م في القضية التي عُرفت بـ(أستاذة الجامعات)، ثم أُفرج عنه في 16/2/2004م نظراً لظروفه الصحية، وهي القضية العسكرية السادسة في عهد الرئيس محمد حسني مبارك؛ حيث تمَّ اعتقال 22 من رموز وقيادات جماعة الإخوان المسلمين عقب مظاهرة بالجامع الأزهر من أجل فلسطين، وبعد أسبوع من الاعتقال صدر قرار جمهوري في 13 نوفمبر بإحالتهم إلى القضاء العسكري، وكان قد سبق اعتقال الدكتور حسين- رحمه الله- قبيل انتخابات المحليات في عام 1992م.

قالوا عنه

- يقول الدكتور حمزة زوبع: "عرفتُ الدكتور حسين الدرج فوجدته صباحاً في مستشفى، وعصراً في النقابة، ومساءً في المسجد، وعشاءً في العبادة، وفي منتصف الليل يدق الباب ليزور أمي مطمئناً على صحتها، وعند الفجر يدق الهاتف "الصلاة خير من النوم".. في الأفراح مليئاً وداعماً ومساعدًا، وإن لم يجد فيكلمة في عقد القران، وفي الأحزان مشاركًا، بدءًا من إجراءات الدفن مرورًا بالغسل وحتى الدفن، ومساءً في السرادق يستقبل المعزين، هكذا فعل مع والدي حين مات وكنتُ غريبًا في بلاد الله".

- وتحدّث النائب الثاني للمرشد العام للإخوان المسلمين المهندس خيرت الشاطر- فكَّ الله أسرته- على قبره قائلاً: "إن مصر فقدت واحدًا من خير أبنائها، وإن جماعة الإخوان المسلمين فقدت رمزًا من أخلص رموزها، وإن أهالي شمال القاهرة وشبرا الخيمة وعزبة عثمان فقدوا واحدًا من أكرم وخير وأكثر الدعاة عطاءً وهو الطبيب والمربي والداعية حسين الدرج، الذي التحق بقطار الدعوة منذ تفتح وعيه على الدنيا وهو طالب بكلية الطب، ومن يومها وهو أحد الشامات التي يُشار إليها في صرح هذه الدعوة، ويعرفه الصغار والكبار في شمال القاهرة.. دمت الخلق، محبًا لدعوته، ساعيًا لكل خير، بادلًا من كل ما يملك وبكل ما يستطيع.

وأضاف الشاطر نشهد لله شهادة حق على أن أخانا الراحل- على ما منَّ الله به عليه من اختبارات المرض- إلا أنه تجاوزها كلها صابرًا محتسبًا متجاوزًا لآلامه وأتراحه دون أن تلين له قناة أو تغتر له همة، وتشهد له قلوب الآلاف التي ودعته اليوم، كما يشهد له جهاده الذي اختلط بحب أبناء شبرا الخيمة له عندما خاض انتخابات مجلس الشعب عام 2000م، وكان خطه الطبيعي أن يكون داخل البرلمان لكن السلطة ارتأت غير ذلك، فدبّرت له، وحشدت له كل طاقاتها لتغير إرادة كل من رأى الدرج خير من يصدع بحقوقهم فزوروا النتائج.. وكان لهم ما أرادوا، ثم أكملوا مؤامرتهم بأن وضعوه مع إخوانٍ له كمتهمين في قضية عسكرية أسموها "تنظيم الأسانذة"، وكان نصيبه منها 3 سنوات، خرج بعدها بعفوٍ صحيٍّ منذ حوالي شهرين قضى معظمهما في المستشفى حتى لحق بربه.. فاللهم أكرم وفادته وأنزله منزلة من تحبه وترضى عنه، وأسدل عليه ستائر رحمتك التي تلفه ببرد عفوك.

من أقواله رحمه الله

- ينكر ذكر الصبر في القرآن كثيرًا؛ ذلك أن الله يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة، والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض، فلا بد من الصبر على الطاعات وعن المعاصي، والصبر على الجهاد والصبر على كيد الكائدين والصبر على بلاء النصر، والصبر على طول الطريق وبعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل وقلة الناصر.. وقد يضعف الصبر إذا لم يكن هناك زاد، ثم يقرن الصبر بالصلاة، فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد فيمتد جبل الصبر ولا ينقطع.

- وفي الصلاة زاد.. إنه لا بد للإنسان الضعيف الغاني أن يتصل بالقوي الباقي، يستمد منه العون حين تضعف قوته، وينغد صبره، وحين يثقل عليه جهد الاستقامة، ويصعب عليه مجاهدة الطغيان والفساد، وما أشدهما وأعنفهما.. هنا تبدو قيمة الصلاة.. إنها لحظة التقاء الفناء بالبقاء.. إنها الموعد المختار لالتقاء قطرة الماء التي تتقاذفها الرياح مع النبع الصافي الذي لا يغيض.

نهاية المطاف

لحق الدكتور حسين الدرج بالرفيق الأعلى فجر الجمعة 25/6/2004 بعد رحلة صبرٍ طويلةٍ مع المرض الذي أصابه في القلب والكبد والعنق، وعن عمرٍ يقارب الخمسين عامًا.

وما كاد خبر الوفاة يتطاير وسط أبناء شبرا الخيمة حتى سارعوا ليودعوا هذا الرجل الذي أحبهم وشعروا بصدق محبته لهم، ولجملوا هذا الجسد الذي طالما سعى في خدمتهم وسهر على راحتهم. واكتنط المسجد والشوارع المحيطة به بالآلاف من أبناء شبرا الخيمة الذين جاءوا لتشييع واحدٍ من رموزهم حتى قُدِّرَ عدد المشيعين بما يقارب العشرين ألفًا، وعقب صلاة الجنازة عليه بمسجد الفتح الكائن بحي شبرا الخيمة، حمل الراحل الكريم الدكتور حسين إلى جوار ربه؛ حيث تم دفنه بمقابر عائلته بمسقط رأسه قرية ميت معلا- مركز بلييس بمحافظة الشرقية.

وحضر الجنازة جمعٌ كبير من الإخوان يتقدمهم النائب الثاني للمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين- المهندس خيرت الشاطر- والحاج سعد لاشين، والأستاذ حمدي إبراهيم، والحاج حسن عبد العظيم، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشعب بمحافظة الشرقية، ووفد من مجلس نقابة الأطباء.

فيما تحدث على قبره الكثير من الإخوان منهم الدكتور سناء أبو زيد- رحمه الله - وممثل عن إخوان بليس، وآخر عن إخوان قرنته ميت معلا، وانتهت مراسم الدفن بدعوات الإخوان لفقيدهم.

رحم الله الدكتور حسين ورفع درجاته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

<https://ikhwanonline.com/article/67351>